

تذكرة الأبرار بالحجّة والبار

جمع وترتيب وتحقيق
أحمد فريد

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٢٤٧٩٠٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمَةٌ الْغُرُورِ ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥]

★ ★ ★

وقال النبي ﷺ :

« الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » .

رواه البخارى (٣٢١/١١) الرقاق عن عبدالله بن مسعود ورواه أحمد (٤٤٢/٤١٣/٣٨٧/١) .

★ ★ ★

وقال النبي ﷺ :

« ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها » .

رواه الترمذى بإسناده حسن لغيره ، وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى (رقم ٩٥٣) .

★ ★ ★

مقدمة

نسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله الذى أسكن عباده هذه الدار ، وجعلها لهم منزلة سفر من الأسفار ، وجعل الدار الآخرة هى دار القرار ، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار ، ويرفق بعباده الأبرار فى جميع الأقطار ، وسبق رحمته بعباده غضبه وهو الرحيم الغفار ، أحمدته على نعمه الغزار ، وأشكره وفضله على من شكر مدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى المختار ، والرسول المبعوث بالتيسير والإنذار ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بركاتها بالعشى والإبكار .

أما بعد :

فمن تأمل أحوال السابقين من أمة سيد المرسلين وجددهم فى غاية الطاعة لله عز وجل والكف عن معصيته وهم مع ذلك فى غاية الخوف والإشفاق والحذر من الله عز وجل وعظيم عقابه وأليم عذابه .

كان ثابت البناني يستوحش لفقد التعبد بعد موته فيقول : يارب .
إن أذنت لأحد أن يصلى فى قبره فأذن لى .

ملأوا الحياة عبادة وطاعة لله عز وجل وتمنوا أن يواصلوا العبادة بعد الموت ؛ من حبههم لله عز وجل ورغبتهم في طاعته وطمعهم في رضاه ، وكثير مع ذلك خوفهم وبكاؤهم حتى أشفقوا من فقد البكاء والخشية بعد الموت وتمنوا لو وجدوا من يبكي عنهم بعد وفاتهم .

كان يزيد الرقاشي يقول في بكائه : يا يزيد من يبكي بعدك لك ، ومن يترضى ربك عنك .

ودخلوا على الجنيد عند الموت وهو يصلى قال : الآن تطوى صحيفتى .

قيل لأبى بكر النهشلى وهو فى الموت : اشرب قليلا من الماء . قال : حتى تغرب الشمس .

قرىء على أحمد بن حنبل فى مرضه أن طاووساً كان يكره الأنين فما أن حتى مات .

ياديار الأحباب أين السكان ، يا منازل العارفين أين القطان ، يا أطلال الوجد أين أين البنيان .

لا تعرضنْ بذكرنا فى ذكرهم
ليسَ السَّليمُ إذا مشى كالمقعِدِ

حسبك أن قوماً موقى تحيى بذكرهم النفوس ، وإن قوماً أحياء تقسو برؤيتهم القلوب ، سلام الله على تلك القبور ، ورضوان الله على حشو تلك اللحود .

أماكن تعبدهم باكية ، ومواطن خلواتهم لفقدهم شاكية ، زال
التعب وبقي الأجر ، ذهب ليل النصب وطلع الفجر .

إِنْ كُنْتَ تُنُوحُ يَا حَمَامَ الْبَانِ
لِلْبَيْنِ فَأَيْنَ شَاهِدُ الْأَحْزَانِ
أُجْفَأُكَ لِلدُّمُوعِ أَوْ أُجْفَأُنِي
لَا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بِلَا بُرْهَانِ

ومن تأمل أحوالنا من قسوة القلوب وقلة تقواها ، وغلبة التكاثر
عن الطاعات والزهد في القربات وقلة التورع عن المحرمات ، وتفكر
بعقله وقلبه أليس الإسلام هو الإسلام ؟ والقرآن هو القرآن ؟ فما بال
أحوالنا لاتوافق أحوال السلف الكرام ، وإنما ينطبق علينا قول القائل : .

يامن إذا تشبه بالصلحين فهو عنهم متباعد ، وإذا تشبه بالمذنبين
فحالهم واحده ، يامن يسمع مايلين الجوامد وطرفه جامد وقلبه
أقصى من الجلامد ، إلى متى تدفع التقوى عن قلبك وهل ينفع الطرق في
حديد بارد .

فما هي الآفة فينا حتى فارقت أحوالنا أحوالهم ، وباينت أعمالنا
أعمالهم ؟ هل الآفة هي عدم الإيمان !!! كلا والله نحن مؤمنون بالله
عز وجل واليوم الآخر .

فما هي الآفة إذن ؟ .

الآفة هي ضعف الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر ، والإيمان إذا
ضعف لا يدفع العباد إلى الطاعات ولا يحجزهم عن المعاصي ، قال النبي

ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » (١) .

والمعاصي لاتنافي أصل الإيمان كما قال النبي ﷺ للصحابي الذي لعن من كان يشرب الخمر : « لا تلغنه إنه يحب الله ورسوله » (٢) .

فالمعاصي لاتنافي أصل الإيمان ولكن تنافي كماله فكم من محب للصحة ويأكل ما يضره .

وعلاج الإيمان يكون بالأخذ بأسباب تقويته ، فإذا قوى إيمان العبد فإنه يسهل عليه عند ذلك أن يستجيب لله عز وجل وللرسول ﷺ .

كان الصحابة رضى الله عنهم يتعلمون الإيمان قبل القرآن ، روى الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : عشنا برهة من الدهر وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن .

وطريقة القرآن عن تقوية الإيمان هي تكرير معاني الإيمان على القلوب والأسماع ، وانظر كيف كرر الله عز وجل وقرر لنا أمور الآخرة حتى ترسم في القلوب وحتى لاتغيب عن العبد لحظة واحدة ، فلايقول قولاً ولايعمل عملاً إلا وهو يستحضر الإيمان بالآخرة ، فتارة يخبر الله عز وجل بها إخباراً مؤكداً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾

(١) رواه البخارى (٣٠/١٠) الأشربة ومسلم (٤١/٢ ، ٤٢) الإيمان .

(٢) رواه البخارى (٧٥/١٤) الحدود بمعناه .

[طه : ١٥] وتارة يقسم الله عز وجل بوقوعها كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١٤﴾ فَأَلْحَمِلَتْ وَقرًا ﴿١٥﴾ فَأَلْجَرِيَتْ يُسرًا ﴿١٦﴾ فَأَلْمَقَسَمَتْ أَمْرًا ﴿١٧﴾ إِيْمَانُوعُدُونَ لَصَادِقٌ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُ ﴿١٩﴾ [الذاريات : ١ - ٦] وتارة يأمر نبيه بالإقسام على وقوعها كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ : ٣] وتارة يذم الله عز وجل المكذبين بها كما قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس : ٤٥] وتارة يمدح المؤمنين بها كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وتارة يخبر الله عز وجل بقرب يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج : ٦ : ٧] فلا تكاد تقلب ورقة من المصحف حتى ترى خبر الآخرة ، ولو ذكر الله ذلك في موضع واحد لكان كافياً في وجوب الإيمان بها ، ولكن القرآن يكرر ذلك على القلوب حتى يقوى الإيمان بها فيكف العبد قلبه وجوارحه عن المعاصي ويحبسها على الطاعات لأن الإيمان بالآخرة استقر في قلبه ، وكان القرآن المكي كذلك تذكرة بالآخرة ، وتقوية للإيمان بها ثم نزلت بعد ذلك الفرائض والأحكام .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعنى رضى الله عنها سورة المدثر وهى ثانى سورة وفيها يقول جل وعلا : ﴿ فَإِذَا نَفَرَ فِي الْناقُورِ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴿ - حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل من أول الأمر لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبدا ، ولو نزل لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبدا .

أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴾ [القمر : ٤٦] وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة .

ومما رى الله عزوجل به الإيمان كذلك في قلوب الصحابة فرض قيام الليل في ابتداء الدعوة .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فرض الله عزوجل على نبيه ﷺ قيام الليل فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولا كاملا ، واحتجز الله عزوجل خاتمة السورة اثنا عشر شهراً ثم نزل بعد ذلك التخفيف » (١) .

وإنما قصدت رضى الله عنها الأمر بقيام الليل في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ۚ قُرْآنٌ لَّيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۚ يَصْفَهُ ۚ وَأَوَّحُّ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْزَدَ عَلَيْهِ وَرَئِلٌ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ۚ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۚ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٦] .

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٦/٦) صلاة المسافرين وأحمد (٥٤/٦) وأبو داود (١٣٢٨) قيام الليل ، والنسائي (١٩٩/٤) قيام الليل .

وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى :
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ يُخِصِّصَهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ ﴾
[المزمّل : ٢٠] .

فعلاج ضعف الإيمان إذن إنما يكون بالتذكير بالآخرة وتلاوة القرآن الذى يتضمن أعظم التذكير وأطيبه ، وتربية الإيمان كذلك بالطاعات بالقيام والصيام وسائر القربات ، وإنما قصدت بهذه الرسالة اللطيفة أن تكون تذكرة سريعة لمن لا يتسع وقته للمصنفات الكبار ومطالعة ما صنفه العلماء الأخيار فى سائر الأعصار ، فقد ضعفت الهمم وتقاصرت الأعمار ، وتشاغل الناس بديناهم عن دار القرار ، والقلوب لا تصلح إلا بالوعظ والتذكير والتبشير والتحذير ، عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . قالوا : وما رأيتم يارسول الله قال : « رأيتم الجنة والنار » ^(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير فى نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط فى فضول المباحات كان ذلك فضلا محمودا ، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هما لازما بحيث يقطع عن السعى فى اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودا ^(٢) .

(١) رواه مسلم (٤/١٥٠ ، ١٥١) الصلاة ، وأحمد (٣/١٧٠) .

(٢) التخويف من النار (١٨) - مكتبة الإيمان .

وقد أُنذر الله عزوجل بالنار وأمر المؤمنين بأخذ الوقاية من التعرض لها وبين خطرها فقال تعالى : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ۚ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۚ ۝ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ۚ ۝ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ۚ ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ ۝ [المدثر : ٣٢ - ٣٧] .

قال الحسن : والله ما أُنذر العباد بشيء أدهى منها .

وقال تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۚ ۝ [الليل : ١٤] .

وعن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار » قال وأشاح . ثم قال : « اتقوا النار » ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال : « اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (١) .

وقال أبو الجوزاء : لو وليت من أمر الناس شيئا اتخذت منارا على الطريق وأقمت عليه رجالا ينادون في الناس النار النار .

وعن مالك بن دينار قال : لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة بالليل : النار النار ثم قال : لو وجدت أعواناً لفرقتهم في منار الدنيا يأيها الناس النار النار .

وقال ابن عيينة : قال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسي في النار ، آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلاها . فقلت لنفسي : أى شيء تريدن ؟ قالت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً . قال : فأنت في

(١) رواه البخارى (٤٠٠/١١) الرقاق .

الأمنية فاعمل . ونحن والله في الأمنية فكل من قصر في طاعة الله عز وجل في الدنيا يطلب العودة إليها كلما عاين أمور الآخرة وترك دار العمل ولا حساب إلى دار الحساب ولا عمل . قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ۝١١ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُ نُرْدُ وَلَا نَكُذِبُ يَتَايَتُ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ [الأنعام : ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۚ ﴾ [السجدة : ١٢] وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرْ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۚ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

ويجمع هذا قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۚ ﴾ [غافر : ١١] .

وأترك القارئ الكريم مع هذه الرسالة يعيش في ذكر الجنة والنار وما ورد فيهما من صريح الأخبار وصحيح الآثار حيث لخصت فيها حياة الاشقياء - نعوذ بالله من حالهم ومهادهم وطعامهم وشرابهم - ثم أردفت ذلك بذكر حياة السعداء - نسأل الله من فضله العظيم وكرمه العميم .

والإيمان بالآخرة يتضمن الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله في شأنها وكل ما صحت به سنة رسول الله ﷺ وأسأل الله أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يتجاوز عن سيئاتنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النار

صفة جهنم وأهوالها وأنكأها^(١) :

قال الغزالي رحمه الله : .

يا أيها الغافل عن نفسه ، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردك ، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع ، إذ قيل ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ^{٧١} ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧١ ، ٧٢] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيح شفعاؤها ، إذ أحاطت بالجرمين ظلمات ذات شعب ، وأطلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجئت الأمم على الركب ،

(١) إحياء علوم الدين - الترغيب والترهيب للمنذرى - الزهد والرفائق لابن المبارك - حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم - البداية والنهاية لابن كثير .

حتى أشفق البراء من سوء المنقلب ، وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سرء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ، ويستقبلونه بعظام التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شراهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شذت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يامالك قد حق علينا الوعيد ، يامالك قد نضجت منا الجلود ، يامالك أخرجنا منها فإننا لانعود ، فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ، ولاخروج لكم من دار الهوان ، فاحسأوا فيها ولاتكلمون ، ولو اخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون ، فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولاينجيهم الندم ، ولايغنيهم الأسف ، بل يكون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، والنار عن أيمنهم ، والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار ، طعامهم نار ، وشراهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسراويل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضايقتها ، ويتحطمون في دركاتنا ، ويضربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلى القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به

ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم فينفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومها ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون^(١) .

عمق جهنم وشدة حرها :

عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهدى فيها سبعين عاما ما تفضى إلى قرارها »^(٢) .

وعن أوى هريرة رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبي ﷺ : « أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى إلى قعرها »^(٣) والوجبة هي صوت سقوط الشيء من مكان عال .

ولجهنم سبعة أبواب قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤٣] هَاسِبَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿ [الحجر: ٤٣] وقيل : المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة : ٢٤] قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين .

(١) إحياء علوم الدين (٢٩٨٦ - ٢٩٨٨) .

(٢) رواه أحمد (١٧٤/٤) ، والترمذى (٤٥/١٠ ، ٤٦) صفة جهنم وصححه الألبانى .

(٣) رواه مسلم (١٧٩/١٧) كتاب الجنة ، باب جهنم والوجبة هي السقطة .

وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك » (١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات : ٣٢] قال : أما إني لست أقول كالشجرة ولكن كالحصون والمدائن .

وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم » قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله قال : « فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها » (٢) .

(١) رواه البخارى (٥٩٤/٨) التفسير ، مسلم (١٨٤/١٧) كتاب الجنة .

(٢) رواه البخارى (٣٣٠/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٩/١٧) كتاب الجنة ومالك في الموطأ

(٩٩٤/٢) جهنم ، والترمذى (٥٨/١٠) صفة جهنم .

طعام أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ ١٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿ [الغاشية : ٦ ، ٧] .

الضريع نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخبائثه .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴾ ١٣ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ [المزمل : ١٢ ، ١٣] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ طعاما ذا غصة ﴾ قال : شوك يأخذ بالخلق لا يدخل ولا يخرج .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَهِىَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِبُونَ ﴾ ٥٧ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ﴿ ٥٨ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ ٥٩ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ ﴿ ٥١ فَشَرِبُوا شُرْبَ أَلِيمٍ ﴿ ٥٥ هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ [الواقعة : ٥١ ، ٥٦] .

وقد وصف الله عز وجل شجرة الزقوم فقال : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ ٦٤ وَطَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿ ٦٥ فَإِنَّهُمْ لَا كُفُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿ [الصافات : ٦٤ ، ٦٨] والشوب هو الخلط والمرج أى يخلط الزقوم المتناهى فى القذارة والمرارة والحميم المتناهى فى اللهب والحرارة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبی ﷺ قرأ هذه الآية :
﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :
١٠٢] فقال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار
الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه » (١) .
وقال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينِ ﴾
[الحاقة : ٣٥ ، ٣٦] .

قال ابن عباس : الغسلين الدم والماء والصدید الذى یسبل من
لحومهم .

والتوفیق بین ما ههنا و بین قوله : ﴿ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ وقوله :
﴿ مِنْ زَقُومٍ ﴾ وقوله : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ [البقرة :
١٧٤] أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع
والمعذین طبقات فمنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنه أكلة النار
لكل منهم جزء مقسوم .

(١) رواه الترمذی (٥٤/١٠) صفة جهنم . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (٣٠١/١) ،
(٣٣٨) ، وابن ماجه (٤٣٢٥) الزهد وصححه الألبانی فی صحيح الجامع رقم (٥١٢٦) وصححه عبدالقادر
الأنطاوی فی تحقیق جامع الأصول .

شراب أهل النار :

قال الله تعالى : ﴿ وَنُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ ۖ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۖ ﴾ [إبراهيم : ١٦ ، ١٧] .

أى يستقى من ماء صديد شديد التانة والكثافة فيتكرهه ولا يكاد يتلعه من شدة نتانته وكثافته .

قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ۖ ﴾ [محمد : ١٥] والحميم هو الماء الحار المغلى بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما فى بطونهم وتسيل به أمعائهم وتتناثر جلودهم كما قال تعالى : ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ۚ ﴾ ﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ ﴾ [الحج : ٢٠ - ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

ملابس أهل النار :

قال الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٩ ، ٥٠] فقلوه : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ ﴾ أى قمصانهم من قطران تطفى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل ، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه ، والقطران قيل فيه ما يطفى به الجمل الأجرى . وعن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج : ٢٠] .

فقلوه : ﴿ قطعت ﴾ أى قدرت لهم على قدر جشهم لأن الثياب تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، وقيل إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره .

(١) رواه مسلم (٢٣٥/٦) ، الخائز . وقال النووي : فيه دليل على تحريم النياحة وهو مجمع عليه وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » (٢) .

أَسِرَّةُ أَهْلِ النَّارِ :

قال تعالى : ﴿ لَّهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] .

أى فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار عيادا بالله من حالهم .

وقال تعالى : ﴿ لَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] أى أطباق وفراش ومهاد وسرادقات ، وإطلاق الظلل عليها تهكما ، وإلا فهي محرقة والظلة تقى من النار كما قال تعالى : ﴿ أَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴾ [المرسلات : ٣٠ ، ٣١] .

(١) رواه مسلم (١٨٠/١٧) اللجنة .

(٢) رواه مسلم (٨٥/٣) الإيمان .

عَظْمُ أَهْلِ النَّارِ وَبِشَاعَةُ مَنْظَرِهِمْ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع »^(١) والمنكب هو الكتف . وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر - أى ناب الكافر - مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث »^(٢) .

قال الحافظ المنذرى : وقد ورد أن من هذه الأمة من يَعْظُمُ في النار كما يَعْظُمُ فيها الكفار ، فروى ابن ماجة والحاكم وغيرهم من حديث عبد الله بن قيس قال : كنت عند أبى بريدة ذات ليلة فدخل علينا الحارث بن أَقْيَشَ رضى الله عنه ، فحدثنا الحارث ليلئذ أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر ، وإن من أمتى من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها »^(٣) .

فصل في ذكر بعض ألوان العذاب :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم

(١) رواه البخارى (٤١٥/١١) الرقاق ، ومسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة .

(٢) رواه مسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة والترمذى (٤٧/١٠ ، ٤٨) صفة جهنم قال النووى : هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به ﷺ .

(٣) رواه ابن ماجة (٤٣٢٣) صفة النار والحاكم (٧/١) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وقال المنذرى وإسناده جيد وصححه الألبانى .

هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب .
ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة
فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟
فيقول : لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط «^(١)
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من
صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعا أقرعا له
زبيتان يأخذ بلهزمتيه فيقول : أنا مالك أنا كنزك »^(٢) ، واللهزمة عظم
ناقى في اللحي ، وفي رواية : « يفر منه ويتبعه ، ويتقى منه فليقم يده ثم
يطوقه » وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ لِلَّهِ مِنْ
فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾
[آل عمران : ١٨٠] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن
أهون أهل النار عذابا رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما
يغلى الرجل بالقمم »^(٣) .

وعن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] قال : تأكلهم
النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم : « عودوا » فيعودون
كما كانوا .

(١) رواه مسلم (١٤٩/١٧) صفة القيامة ، وابن ماجه (٤٣٢١) صفة النار قال ابن الأثير : فيصبغ :
أى يغمس في النار أو الجنة غمسة كأنه يدخل إليها إدخالا واحدة .

(٢) رواه البخارى (٢٦٨/٣) الزكاة .

(٣) رواه البخارى (٤١٧/١١) الرقاق : ومسلم (٨٥/٣ ، ٨٦) الإيمان ، والترمذى (٢٧٤٤) صفة

جهنم .

عذاب أهل النار المعنوى :

من عذاب أهل النار المعنوى أن الملائكة تبكتهم قبل أن يدخلوا منازلهم فى النار كما قال تعالى : ﴿ كَلَّمَآ أَلْفِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝۸ ﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ۝۹ ﴾ [الملك :

٨ ، ٩] .

ومن عذابهم المعنوى : أنهم يلعن بعضهم بعضا ويسب بعضهم بعضا قال تعالى : ﴿ كَلَّمَآ دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۝۱ ﴾ [الأعراف : ٣٨] ويتبرأ الكبراء من المستضعفين ويقول المستضعفون : ﴿ لَوْ أَنَا لَنَاكَرَةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝۲ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

ومن عذابهم المعنوى أنهم يرون الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزؤون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضى والرضوان ونجوا من غضب الملك الديان كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ۝۳ ﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۝۴ ﴾ [ص : ٦٢ ، ٦٣]

ومن عذابهم المعنوى كذلك أنهم يمنعون من الكلام قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا ، يقولون : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝۵ ﴾ [غافر : ١١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۝۶ ﴾

وَأِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿ [غافر : ١٢] ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [السجدة : ١٢] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : ٤٤] فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر : ٣٧] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُبْدِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧] فيجيبهم الله تعالى : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُوهَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] فلا يتكلموا بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب .

قال مالك بن أنس : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم : ٢١] قال : صبروا مائة سنة ، ثم جزعوا مائة سنة ، ثم صبروا مائة سنة ، ثم قالوا : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَاءٍ أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِالْمُوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ ، فَيَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ » (١) .

(١) رواه البخاري (٤١٥/١١) الرقاق : صفة الجنة والنار ، ومسلم (١٨٦/١٧) صفة الجنة .

قال ابن الأثير : الأملح : المختلط البياض والسواد .

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها
ومحنها وحسرتها لانهاية له ، وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة
العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه ، مع علمهم
بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك
إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية كانت
مكدرة منغصة ، فيقولون في أنفسهم : واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا
بعضيان ربنا ، وكيف لم نكف أنفسنا الصبر أياما قلائل ، ولو صبرنا
لكانت انقطعت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين
بالرضا والرضوان ، فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم
يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ، واعلم أن الله تعالى خلق النار
بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون ، وأن هذا أمر قد قضى
وفرغ منه قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] ولعمري الإشارة به إلى يوم
القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء ،
فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتنشغل بمحقرات الدنيا ولست
تدرى أن القضاء بماذا سبق في حقك ، فإن قلت فليت شعري ماذا
موردى ؟ وإلى ماذا مآلى ومرجعى ؟ وما الذى سبق به القضاء في حقى ؟
فلك علامة تستأنس بها وتصديق رجاءك بسببها ، وهى أن تنظر إلى
أحوالك وأعمالك فإن كُلاً ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل
الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لاتقصد خيراً إلا وتحيط بك
العوائق فتدفعك ، ولاتقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى

عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة الدخان على النار ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝۱۳ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝۱۴ ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم .

الجنة

صفة الجنة وأصناف نعيمها :

قال الغزالي رحمه الله ما ملخصه :

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها ، فإن من بُعد من أحدهما استقر لآماله في الأخرى ، فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم ، واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقُدّها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم ، فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل ، ومحفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان ، آمنت من الهرم مقصورات في الخيام ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين ييضأ لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع

التحف من ربه يتعاهدون ، فهم فيما اشتت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها ولا يمحزون وهم من ريب المنون آمنون ، فهم يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا ، قيا عجا ممن يؤمن بدار هذه صفتها ، ويوقن بأنه لا يموت أهلها ، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ، ولا تنظر الأحداث بعين التغير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويهنا بعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحداث لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنقص من ضرورته - كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متمتعون ، لهم فيها ما يشتهون وهم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر إلى وجه الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعم الجنان ولا يلتفتون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا » فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) [الأعراف :

. [٤٣

(١) إحياء علوم الدين (٢٩٩٧ - ٢٩٩٩) باختصار وتصرف والحديث رواه مسلم (١٧/١٧٥) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (١٢٤/١٢ ، ١٢٥) التفسير .

فصل : في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها :

عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » مصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) [السجدة : ١٧] .

وثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء ، فليس العسل كالعسل ، وليس الخمر كالخمر وليس العنب كالعنب .

ومهما قرأت في وصف نعيمها وخطر نعيمها ببالك من متاعها وعجائبها فهي أعجب مما قرأت وأطيب مما خطر على قلبك ، وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب » ^(٢) .

(١) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٦٦/١٧) الجنة وصفة نعيمها ، وابن ماجه (٤٣٢٨) الزهد .

(٢) رواه البخارى (٣٢٠/٦) بدء الخلق ، ورواه مسلم بلفظ « لغدوة في سبيل الله أو روحه » (٢٦/١٣) الإمارة ، والترمذى (١٥٥/٧) الجهاد .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكيف يقدر قدر دار خلقها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه وملاها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصائها فهو اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب أو فضة لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن ثمارها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق اللؤلؤ ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .

فصل في بيان صفة أبواب الجنة ودرجاتها وأبنيتها :

أبواب الجنة :

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »^(١) .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال : « نعم وأرجو أن تكون منهم »^(٢) .

(١) رواه البخاري (٣٢٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (٣٢/٨) الصيام بلفظ « في الجنة باب يقال له الريان » .

(٢) رواه البخاري (١٩/٧) فضائل الصحابة ، ومسلم (١١٥/٧ ، ١١٦) الزكاة ، ومالك (٤٦٩/٢) الجهاد ، والنسائي (٢٢/٦ ، ٢٣) الجهاد .

درجات الجنة :

وفي الصحيحين عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم ، والحديث له لفظان هذا أحدهما والثاني « وإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله »^(١) وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »^(٢) .

أى من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة في الموضوعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة ، وتلك المائة ينالها آحاد أمتة بالجهاد . والجنة مقببة أعلاها وأوسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح : « إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »^(٣) كما أفاده ابن كثير رحمه الله .

(١) رواه البخارى (١١/٦) ، ومسلم (٢٨/١٣) الإمارة ، والترمذى (٨/١٠) صفة الجنة ، وابن ماجه (٤٣٣١) الزهد .

(٢) رواه البخارى (٢١٤/١١) الدعوات بمعناه ، ومسلم (٥/١٧) ، ٦ الذكر والدعاء ورواه الترمذى وفيه زيادة ذكر الأسماء .

(٣) جزء من الحديث قبل السابق .

وعن أنى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراؤن الغرف كما يتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » (١) .

أبنية الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّكُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [الزمر : ٢٠] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة ؛ لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء .

وعن أنى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون ويطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » (٢) .

وعن أنى هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبى ﷺ : « هذه خديجة أقرئها السلام من ربها ، وأمره أن يشرها بيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب » (٣) والقصب هاهنا قصب اللؤلؤ المجوف ، قيل لأنها حازت قصب السبق فى التصديق برسول الله ﷺ فكان جزاؤها

(١) رواه البخارى (٤١٦/١١) الرقاق ، و(٣٢٠/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٦٩/١٧) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (٢١/١٠) صفة الجنة .

(٢) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٥/١٧) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (٦/١٠) صفة الجنة .

(٣) رواه البخارى (١٣٣/٧) مناقب الأنصار ، ومسلم (١٩٩/١٥) الفضائل والمراد بالبيت هنا القصر ، والصخب الصوت المختلط المرتفع ، والنصب المشقة والتعب .

قصرًا من قصب ، وعن أنس أن النبي ﷺ قال « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب » (١) .

طعام أهل الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَفَكَهْهٖ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٢٠ ، ٢١] .

أما فاكهة الجنة فقد قال تعالى في وصفها : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] .

قال ابن جرير رحمه الله : ﴿ كلما رزقوا ﴾ من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا ، وقيل كذلك ﴿ رزقنا من قبل ﴾ أى في الجنة لتعدد الأصناف وتشابهها في الظاهر ، قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] قال الحسن : خيار كله لا رذل ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه . وقال تعالى : ﴿ وَفَكَهْهٖ كَثِيرَةً ﴾ [الواقعة : ٣٣] أى لا تكون في وقت دون

(١) رواه البخارى (٣١٨/٦) بدء الخلق . ومسلم بمعناه (١٦٣/١٥) الفضائل بمعناه عن جابر رضى الله عنه .

وقت ولا تمنع من أرادها ، وقال تعالى : ﴿ وَدَائِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] قال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمرها تدلت له حتى يتناول ما يريد .

عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر قال : « ذاك نهر أعطانيه الله (يعنى فى الجنة) أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيها طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله ﷺ : « أكلتها أحسن منها »^(١) .

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغيطون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس »^(٢) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه خبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال : فمن أول إجازة ؟ يعنى على الصراط فقال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد الحوت » قال فما غذاؤهم على أثرها ، قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسيلا » فقال : صدقت^(٣) .

(١) رواه الترمذى (١٢/١٠) صفة الجنة وقال : هذا حديث حسن غريب وقال الألبانى : حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم (١٧/١٧٤) الجنة وصفة نعيمها .

(٣) رواه مسلم (٣/٢٢٦ ، ٢٢٧) الحوض بزيادة فى أوله وآخره والبغوى فى شرح السنة (١٥/٢٢٤ ، ٢٢٥) الفتن قوله : « زيادة كبد الحوت » الزيادة هى طرف الكبد وأطرافها .

شراب أهل الجنة :

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان : ٥ ، ٦] .

والكأس هو الإناء الذى فيه الشراب ، ويطلق كذلك على نفس الخمر كما قال بعضهم : .

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

قوله : ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ أى يخالطها وتمزج به قال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وإنما سمي ما عنده بما عندكم حتى تهتدى له القلوب قوله : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى يجرونها إلى حيث يريدون ويتفجعون بها كما يشاءون .

وقال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٧] أى كأسا من خمر ممزوجة بالزنجبيل ، وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته .

وقال تعالى : ﴿ وَسَقَمُوهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] والمعنى أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا ، قال أبو قلابة وإبرهيم النخعي : يؤتون بالطعام فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور

فتضمّر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك . وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع » قال : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال : « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمّر بطنه » (١) .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ خِتَمُهُم مِّسْكًا ﴾ [المطففين : ٢٦] قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شراهم . لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ عَيْنَايَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿ [المطففين : ٢٧ ، ٢٨] . قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفا .

(١) رواه أحمد (٣٦٧/٤) والنسائى فى الكبرى : التفسير (رقم ٤٩٨) تحفة الاشراف (٣ / ١٩١) وقال المنذرى : رواه محتج بهم فى الصحيح - الترغيب والترهيب (٦ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) . وقال الهيثمى : ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عتبة وهو ثقة - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٦) .

ثياب أهل الجنة :

قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ [الكهف : ٣١] .

قال جماعة من المفسرين : السندس : ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه . وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان : الأخضر وألين اللباس الحرير فجمع بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به ، وفي حديث البراء بن عازب قال : أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ : « تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا »^(١) .

أى أن المنديل الذى يمسح به يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك .

(١) رواه البخارى (٣١٩/٦) بدء الخلق .

وقال ﷺ : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (١) .

وعن زهير بن حرب عن رسول الله ﷺ قال : « من يدخل الجنة يتعم ولا يئأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٢) .

صفة أهل الجنة :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة جرذا مردا كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين » (٣) .

قوله : « جرذا » أى بدون شعر على أجسادهم وقوله : « مردا » بدون لحية .

وفى حديث أى هريرة : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا » (٤) .

وعن أى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على صورة أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء » (٥) .

(١) رواه مسلم (١٤٠/٣) الطهارة ، والنسائى (٩٣/١) الطهارة .

(٢) رواه مسلم (١٧٤/١٧) الجنة وصفة نعيمها .

(٣) رواه الترمذى (١٤/١٠) صفة الجنة وقال : حسن غريب ، وحسنه الألبانى .

(٤) رواه مسلم (١٧٢/١٧) الجنة وصفة نعيمها .

(٥) رواه البخارى (٣١٩/٦) بدء الخلق ، ومسلم (١٧٢/١٧ ، ١٧٣) الجنة وصفة نعيمها . والألوة :

العود الهندى .

وأما الأخلاق فقد قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ
إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُورٍ مِّنْقَبِيلِينَ ﴾ [الحجر ٤٧] .

فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم وفي حديث الصحيحين
« لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون
الله بكرة وعشية »^(١) .

أدنى أهل الجنة منزلة :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « إن موسى
عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل قد يجيء
بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له : أدخل الجنة . فيقول : رب
كيف وقد نزلت الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى
أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ،
فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة : رضيت رب ،
فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتيت نفسك ولدت عينك
فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة . قال : أولئك الذين
أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع
أذن ولم يخطر على قلب بشر »^(٢) .

(١) رواه البخارى (١٣٨/٦) بدء الخلق ، مسلم (١٧٣/١٧) الجنة وصفة نعيمها وهو رواية للحديث

السابق .

(٢) رواه البخارى بمعناه مختصرا (٤١٩/١١) الرقاق ، ومسلم (٤٦٠/٢) الإيمان .

نساء الجنة :

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

قال ابن القيم ما ملخصه :

جمع الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه والأزواج المطهرة هى التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قدر وكل أذى يكون من نساء الدنيا وطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها .

وقال تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان : ٥٤]
والحور جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال مجاهد : الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ أَنْزَابٌ ﴾ [ص : ٥٢] أى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقوله : ﴿ أنزاب ﴾ قال ابن عباس وسائر المفسرين : مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »^(١) والنصيف هو الخمار أى غطاء الرأس .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى يليها على أضوء كوكب درى فى السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب »^(٢) .

(١) رواه البخارى (١٥/٦) الجهاد ، والترمذى (١٥٥/٨) الجهاد .

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٤١) .

النظر إلى وجه الله عز وجل :

قال الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل والحسنى هي الجنة .
عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه . قالوا : ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ويبيض وجوهنا ؟ ويدخلن الجنة ويخرجن من النار ؟ قال : فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه » ^(١) وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمة وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء .

(١) رواه مسلم (١٧/٣) الإيمان .

شعر : يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
وإن حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشَوِهَا مِنْ مَسْرَةٍ
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَلِلَّهِ وَادِيهَا الَّذِي هُوَ مَوْعِدُ الْمَرْ
وَلِلَّهِ أَبْصَارًا تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْهِ نَضْرَةً
وَلِلَّهِ كَمٌ مِنْ خَيْرِهِ إِنْ تَبَسَّمْتَ
فَيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ أَقْبَلْتَ
وَيَا حَجَلَةَ الْعُصْنِ الرَّطِيبِ إِذَا اثْنَتَ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا
إِذَا قَابَلْتَ جَيْشَ الْهُمُومِ بِوَجْهِهَا
فَيَا خَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا
وَكُنْ مُبْغِضًا لِلْحَائِثَاتِ لِحُبِّهَا
وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَذْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ
وَأَقْدِمْ وَلَا تَفْتَنَ بِعَيْشٍ مُنْعَصٍ
وإن ضَاوَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
حَتَّى عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
وَحَتَّى عَلَى السُّوقِ الَّذِي فِيهِ يَلْتَقَى
فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بَلَا تَمْنِي لَهُ

سِوَى كُفِّهَا وَالرَّبُّ بِالْحَلْقِ أَعْلَمُ
وَحُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النَّفْسَ وَيُؤْلِمُ
وَأَصْنَافٍ لَذَاتٍ بِهَا يُتَنَعَّمُ
وَرَوْضَاتِهَا وَالتَّعْرِفَى الرُّوضِ يَبَسِّمُ
يَدِ لَوْفِدِ الْحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ
فَلَا الضَّيِّمُ يَعْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسَامُ
أَمِنْ بَعْدَهَا يَسْلُو الْمُحِبُّ الْمُتِمِّمُ
أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ
وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
وَيَا حَجَلَةَ الْفَجْرَيْنِ حِينَ تَبَسِّمُ
فَلَمْ يَنْقُ إِلَّا وَصْلُهَا لَكَ مَرْهَمُ
تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزِمُ
فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ
فَتَحْظَى بِهَا مِنْ دُونِهِمْ وَتُنْعَمُ
تَفُوزُ بِعِيدِ الْفَطْرِ وَالنَّاسِ صَوْمُ
فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقَدِّمُ
وَلَمْ يَكْ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
مَنَازِلُنَا الْأُولَى وَفِيهَا الْمُحَيِّمُ
الْمُحِبُّونَ ذَاكَ السُّوقَ لِلْقَوْمِ يُعْلَمُ
فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا

وَحَيَّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ الَّذِي بِهِ
وَحَيَّ عَلَى وَاِدِ هُنَالِكَ أَفْجَحَ
مَنَابِرُ مِنْ نُورِ هُنَالِكَ وَفِضَّةُ
وَكُتْبَانُ مِسْكِ قَدْ جُعِلْنَ مَقَاعِدًا
فَبَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ أَشْرَقَتْ لَهُ
تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ جَهْرَةً
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَسْمَعُونَ جَمِيعَهُمْ
يَقُولُ سَلُونِي مَا اسْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ مَا
فَقَالُوا جَمِيعًا نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَا
فَيُعْطِيهِمُوا هَذَا وَيَشْهَدُ جَمْعُهُمْ
فَيَا بَائِعًا هَذَا بِحُسْنٍ مُعْجَلٍ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ

زِيَادَةُ رَبِّ الْعَرْشِ فَالْيَوْمَ مُوسِمٌ
وَتُرْبَتُهُ مِنْ أَذْفَرِ الْمِسْكِ أَعْظَمُ
وَمِنْ خَالِصِ الْعَقْيَانِ لَا يَتَقَسَّمُ
لِمَنْ دُونَ أَصْحَابِ الْمَنَابِرِ يُعْلَمُ
وَأَرْزَاقُهُمْ تُجْرَى عَلَيْهِمْ وَتُقَسَّمُ
بِأَقْطَارِهَا الْجَنَّاتِ لَا يُتَوَهَّجُ
فَيَضْحَكُ فَوْقَ الْعَرْشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ
بِأَذَانِهِمْ تَسْلِيمَةً إِذَا يُسَلِّمُ
ثُرِيدُونَ عِنْدِي إِنِّي أَنَا أَرْحَمُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتَرْحِمُ
عَلَيْهِ تَعَالَى اللَّهُ أَكْرَمُ
كَأَنَّكَ لَا تَذَرِي بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة (نسأل الله حسن الخاتمة)
	النار :
١٤	صفة جهنم وأهوالها وأنكالها
١٦	عمق جهنم وشدة حرها
١٨	طعام أهل النار
٢٠	شراب أهل النار
٢١	ملابس أهل النار
٢٢	أسرة أهل النار
٢٣	عظم أهل النار وبشاعة منظرهم
٢٣	فصل فى ذكر بعض ألوان العذاب
٢٥	عذاب أهل النار المعنوى
	الجنة :
٢٩	صفة الجنة وأصناف نعيمها
٣٣	فصل فى بيان صفة أبواب الجنة ودرجاتها وأبنيتها
٣٦	طعام أهل الجنة
٣٨	شراب أهل الجنة
٤٠	ثياب أهل الجنة
٤١	صفة أهل الجنة
٤٢	أدنى أهل الجنة منزلة
٤٣	نساء الجنة
٤٦	شعر للإمام ابن القيم